مجلة العلوم الإنسانية، ١٤٢٥ هـــ. ق، العدد ١١ (٢): ٦٥_٧٣

دور السيد جمال‌الدين الأسد آبادي في النهضة الأدبية المعاصرة

فرامرز ميرزايى[1]، على باقر طاهرى‌نيا[2*]

من أهم الموضوعات التى يعالجها الباحث فى الأدب المقارن هى دراسة مستوى تأثير مفكر أو كاتب ما فى أدب أمة أخرى؛ فعلى الباحث في هذا المضمار أَنْ يُحدّد نقطة البداء في التأثير، من مؤلفات الكاتب، أو من كتاب واحد، أو من شخصية ذلك المفكر. و كذلك يجب تحديد الوسط المتأثر بلداً كان، أم مجموعة مؤلفين، أم مؤلف واحد. و أخيراً على الباحث أن يُحدّد مدى هذا التأثير وإطاره. ثم إن هناك أنواعاً من التأثير، وهناك التأثير الشخصي و التأثير الفني، ثم التأثير الفكري.

إن السيد جمال الدين المشهور بالأوساط العربية بجمال الدين الأَفغاني ككاتب فارسي و مفكر ايراني قد أثر على العالم العربي تأثيراً مدهشاً. ولكن الباحثين فى حياة السيد جمال الدين قد عنوا عناية بالغة بدراسة تأثيره السياسي في الصحوة الاسلامية في الشرق غافلين عن تأثيره الهام فى النهضة الادبية المعاصرة أو مرّوا عليه مرور الكرام. نحن نلاحظ أن هذا التأثير قد اقتصر على تأثير السيد جمال الدين الشخصي والفكري فى الأدب العربي المعاصر. إذ أنه بشخصيته الفذّه وفكره العظيم استطاع أن يؤثر على رواد النهضة الأدبية الحديثة – شعراً ونثراً – تأثيراً هاماً.

لقد حدث التغيير الجذري والتطور الواسع في الأدب العربي المعاصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حيث تزامن مع دخول السيد جمال الدين مصر واستقراره في القاهرة، وكان جمال الدين قد استطاع بفضل نشاطاته الفكرية و السياسية والاجتماعية، أن يكوّن جماعة فذة من الأدباء والمثقفين الذين بدورهم قد أعدّوا الأجواء المناسبة للنهضة الأدبية المعاصرة. وبهذا لعب جمال الدين دوراً هاماً فى إعطاء دفعة قوية للنهضة الأدبية الحديثة وذلك بالطرق التالية:

أ- إعْدُاد الأجواء المناسبة للنهضة الأدبية بواسطه الإصلاح الديني والصحوة الإسلامية والوعي القومي.

ب- كتابة مقالات سياسية فى الصحف والجرائد بلغة سهلة تقل فيها الصنعة، والدعوة إلى تحرير الكتابة من التعقيد والتقليد وجعلها في خدمة الفكر لا في خدمة الأسلوب، و بذلك فتح الطريق أمام الكتّاب والأدباء لتطوير الكتابة الأدبية.

ج- إن محمود سامي البارودي كرائدٍ للعشر العربي المعاصر كان من تلاميذ السيد جمال الدين وتأثر بأفكاره تأثيراً شديداً

د- إنَّ محمد عبده رائد النثر المعتدل كان من أقرب تلاميذ السيد جمال الدين و كان بدوره قد أثَّر على المنفلوطي والذي يعد رائد النثر العربي الحديث

الكلمات الرئيسة: الادب المقارن، النهضة الادبية، الادب العربى الحديث، السيدجمال‌الدين‌الاسدآبادى

---

١. أستاذ مساعد في جامعة أبي علي سينا، همدان، ايران

٢. أستاذ مساعد في جامعة أبي علي سينا، همدان، ايران

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.6.1]

المقدمة

إن دور السيد جمال الدين الأسد آبادي في النهضة المعاصرة، موضوع يعالج فى اطار «الأدب المقارن»[1] والأدب المقارن مفهوم حديث صارعلماً من علوم الأدب الحديثة و أخطرها شأناً وأعظمها جدوى. مدلولُ «الأدب المقارن» تاريخي، إذ أنه يَدْرُس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة وصلاتها الكثيرة المعقدة وما لهذه الصلات التاريخيّة من تأثير و تأثر أياً كانت مظاهر ذلك التأثير والتأثر»[2]، ومن ثَّم يُهيّيء السُّبُلَ لاستيعاب النصوص الادبية استيعاباً دقيقاً، ويساعدنا على التعرف على الأسباب المؤدية إلى نشأة ظاهرة أدبية، خاصةً إذاكانت الأسباب خارجية.

فمن الواضع أن الأدب المقارن يلعب دوراً هاماً فى معرفة التأثير والتأثر المتبادلين بين آداب الأمم المختلفة و بذلك يساعدها فى تعرف بعظها على بعض وترسيخ العلاقات الثقافية الثنائية بينها.

ومن أهم الموضوعات التي يعالجها الباحث في الأدب المقارن هي دراسة مستوى تأثير مفكر أوكاتب ما في أدب أمة أخرى؛ فعلى الباحث في هذا المضمار أن يحدد نقطة البدء في التأثير من مؤلفات الكاتب أو من كتاب واحد أو من شخصية ذلك المفكر وكذلك يجب تحديد الوسط المتأثر بلداً كان أم مجموعة مؤلفين أم مؤلف واحد واخيراً على الباحث أن يُحدد مدى هذا التأثير وإطاره. «ثم أن هناك أنواعاً من التأثير، مثل التأثير الشخصي كتأثير «روسو»، أو التأثير الفني كتأثير مسرحيات «شكسبير» في أصحاب المذهب الرومانتيكي من الفرنسيين وتأثير «لافونتين» في القصة العربية على لسان الحيوان، ثم التأثير الفكري كتأثير «فولتير» في الآداب الأوربية.»[3]

فيتضح مما ذكرناه، أن أسلوب البحث والدراسة في مجال تأثير السيد جمال الدين الأسد آبادي، المعروف عند الاوساط العربية بالأفغاني، فى النهضة العربية المعاصرة، ككاتب فارسى ومفكر إيرانى قد أثر على العالم العربي تأثيراً كبرياً مدهشاً. ولكن الباحثين فى حياة السيد جمال الدين قد عنوا عناية بالغة بدراسة تأثيره السياسي فى الصحوة الإسلامية في الشرق غافلين عن تأثيره الهام في النهضة الأدبية المعاصرة أو مَرُّوا عليه مرورَ الكرامِ[4]. نحن نلاحظ أن هذا التأثير قد اقتصر على تأثير السيد جمال الدين الشخصي والفكري في الأدب العربي المعاصر إذ إنه بشخصيته النافذة وفكره العظيم استطاع أن يؤثر على رواد النهضة الأدبية الحديثة – شعراً ونثراً – تأثيراً هاما.

النهضة الأدبية المعاصرة

«النهضة الأدبية المعاصرة» عنوان أطلق على التطور الحديث الذي طرقَ بابَ الأدب العربي في القرن التاسع عشر. وقد قسَّم مؤرخو الآداب تاريخ الأدب العربي إلى عصور مختلفة بدءاً بالعصر الجاهلي ثم الإسلامي فالأموي والعباسي و عهد الانحطاط و أخيراً العصر الحاضر. فكان الأدب فى عهد الانحطاط يعاني من الصنعة والتعقيد و الركاكة. فكان الأدباء يحاكون القدماء دون أي إبداع أو ابتكار في المعاني و المضامين، فأصبح الأدب تعوزه المضامين الاجتماعية والسياسية و الثقافية. هذا، وإن الأدب فى ظل النهضة الأدبية الأخيرة قد نهض من رقدته وصار كائناً حياً ينبض بالحياة. فاهتم الأدباء بالمسائل السياسية والاجتماعية والثقافية وصاروا يحملون الرسالة في هداية الأنام و إرشادهم إلى الطريق الصحيح. فتحولت لغة الكتابة من الغموض والركاكة والتعقيد إلى الوضوح والرصانة والسهولة فأصبح للأدب دور هام فى حياة الأمة العربية السياسية والثقافية والاجتماعية.

ونلاحظ أن السياسة واحداثها الهامة هي اللبنة الأساسية لهذا التقسيم التاريخي للأدب العربي. فبناءً على هذا يبدأ عصر الأدب العربي المعاصر بغزو نابليون بونابورت مصرعام ١٧٩٨ م. حيث يوحي الى أنَّ النهضة الادبية ايضاً قد بدأ تطورها فور هذا الغزو[5].

وبما انه لايمكن تجاوز التأثيرات الفكرية والاجتماعية للغزو النابليوني للقاهرة ولكن الدراسات التاريخية تؤكد أن الأدب

---

١. Comparative Literature

٢. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، بيروت، دارالعودة، الطبعة الثالثة، ص ٩.

٣. المرجع السابق، ص ٩٨.

٤. هذا ما يتبين بعد المراجعة فى الكتب التاريخية، اللهم إلا أنتا قد رأينا مقالاً للأستاذ الدكتور آذرشب حول دور السيد جمال الدين في الادب العربي المعاصر حيث عالج الموضوع دون تفاصيل في المؤتمر الدولى للسيد جمال الدين الأسد آبادي (العروة الوثقي، العدد الخاص بالمؤتمر الدولي للسيد جمال الدين الأسد آبادي)

٥. انظر فى: «تاريخ آداب اللغة العربية»، جرجي زيدان، ص ٣٦٥، في الادب الحديث»، عمر الدسوقي، ص ٢١. «تاريخ الادب العربي»، احمد حسن الزيات، ص ٣٨٧. «الادب العربي المعاصر في مصر»، شوقى ضيف، ص ١١.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.6.1]

وأساليبه لم تتغير تغييراً يذكر إلا في أواخر القرن التاسع عشر، فبقى النثر والشعر على حاليهما الموروثين عن عهد الانحطاط و لم يحدث أي تطور هام في الموضوعات الأدبية وأساليب الكتابة.

أنّ مؤرخي الادب العربي ونقاده حين يذكرون رائد الشعر العربي الحديث يشيرون الى محمود سامى البارودي كرائد للشعر العربى المعاصر، و إننا لنعلم أن قصائده الرائدة قد ظهرت في السبعينات، والثمانيات أو التسعينات من القرن التاسع عشر، أي بعد الغزو النابليوني لمصر بمدّة ثمانين سنة[1]. أويذكرون محمد عبده ولطفى المنفلوطي كرواد النثر العربى و يعلم الجميع انهما عاشا في أواخر القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين[2].

اذن مع أن مؤرخي الأدب العربي قد اعتبروا سنة ١٧٩٨ بداية لعصر النهضة الحديثة لكنه ينبغى لنا أن أن نؤخرها إلى قبيل نهاية القرن التاسع عشر، أى بعد ثمانين سنة، إذ تحول أسلوب الكتابة تحولاً واسعاً واصطبغ الأدب بصبغة الموضوعات السياسية والاجتماعية. وهذا ما أقرّ به بعض نقاد العرب حيـــن ذكـــر «أن الأدب لم يتغير بعد الحملة الفرنسية عما كان عليه قبلها فضلاً عن أنه لا يمكن أن نؤرخ لبدء عصر الأدب الحديث بحادث احتلال أجنبي لبلادنا مهما كانت نتائجه.

وأرى أن أدبنا الحديث يبدأ منذ قيام الثورة العرابية عام ١٨٨١ م إلى اليوم، ففى ذلك الحين ظهر أثر الثورة السياسية والفكرية في أدبنا وقام الأدب الحديث فى النثر بريادة الإمام محمد عبده، و في الشعر بريادة محمود سامي البارودي»[3].

تأثير السيد جمال الدين المباشر في النهضة الادبية المعاصرة

في اطار البحث العلمي — كما ذكرنا في المقدمة — يجب علينا أن نحدد نقطة البدء في التأثير الشخصي والفكري للسيد جمال الدين الأسد آبادي في النهضة الأدبية الحديثة ومدى تأثر رواد النثر والشعر في الأدب العربي المعاصر بشخصيته وبفكره.

لقد سبقت الاشارة الى أنّ النهضة الأدبية قد حدثت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وذلك إثر التطورات السياسية والفكرية التي وقعت آنذالك فماذا كانت تلك التطورات؟ وكيف حدثت؟ والجواب إنْ دَلَّ على شيءٍ فإنّما يدّل على مستوى تأثير السيد جمال الدين في الأدب العربي المعاصر.

يرى عمر الدسوقى، المؤرخ و الناقد العربي المعاصر، أن جمال الدين هو الدافع الأساسي وراء هذه التطورات التي أدت في نهاية المطاف إلى إنشاء أدب حي يهتم بالمسائل اليومية، فقال: «إذا أردتَ أنْ تقفَ على الروح التي تكمن من وراء هذا الأدب الحي والتي بعثت في الشرق الاسلامي كلّه حيوية دافقة وهزته هزة عنيفة ... فاعلم أن الروح تمثلت في السيد جمال الدين الأفغاني ليدين له الشرق الاسلامي بيقظته القومية والفكرية في العصر الحديث.»[4]

دخل السيد جمال الدين مصر عام ١٨٧١ م واندمج في حياة مصر الاجتماعية والفكرية ومكث فيها ثماني سنوات كانت من أثمر عصورالحياة المصريه وأكثرها خيراً وبركةً[5]. إنه كانَ يُدّرس في بيته الفلسفة والمنطق والفلك لأصدقائه راغباً أن يستخدم أسلوباً حديثاً ملائماً لمقتضى العصر. كان لجمال الدين ندوة ثانية في قهوة البوسطة بجوار الأزبكية حيث يلتفّ حوله جماعة من الأدباء والأطباء والمهندسين ويأخذون من فمه ماكان يصرح به من الموضوعات اليومية حراً طليقاً. كان يرتاد في هذه الحلقات تلاميذه المقربون كأمثال محمود سامي البارودي، والشيخ محمد عبده، ومحمد المويلحي، وابراهيم اللقاني، وسعد زغلول وأديب اسحاق[6]. فاستطاع جمال الدين، بالقاء محاضراته ليلاً في المقهى والقاء الدروس نهاراً في بيته، وبهذا تربى جماعة لامعة من اصحاب الفكر والرأى تربية حسنة.

في حلقات دروسه هذه، لم يكن جمال الدين يعالج الموضوعات السياسية فحسب بل كان يحرض الشبان و تلامذته على نشر المقالات فى الصحف رغبة في الوصول إلى ما كان يستهدفه كما كان يحثهم على إنشاء المجلات السياسية وإدارتها، ثم كان ينشر بنفسه مقالاته فيها. ويطلب الى من يتوسم فيه المقدرة والمنفعة أن يكتب فيها، وطلب من الشيخ محمد عبده وابراهيم اللقاني أن

---

١. عمر الدسوقى، في الادب الحديث، الطبعة الثامنة، القاهرة، دارالفكر، ١٩٧٣ م، ج ١، ص ٢٨٤-٣٠٠

٢. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الادب العربي، الطبعة الاولي، بيروت، دارالجيل، ١٩٨٦، ج ٢، ص ٢٢-٢٣

٣. محمد عبدالمنعم خفاجي دراسة في الادب العربي الحديث ومدارسه، الطبعة الاولي، بيروت، دارالجيل، ١٩٩٢، ج ١ ص ٢٢

٤. عمر الدسوقي، السابق، ص ٣٢٧

٥. عمرالدسوقي، محمود سامي البارودي، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، ص ١٦.

٦. عمر الدسوقي، في الادب الحديث، ج ١، ص ٣٣٣.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.6.1]

يشتركا فى تحرير جريدة التجارة التي أنشأها أديب إسحاق وكتب السيد جمال الدين فى هذه الجريدة مقالين[١].

قدّم السيد جمال الدين ببذل جهوده المستمرّة جماعة فذة من الأدباء والكتاب اللذين كانوا يتابعون أفكاره ويعلّمون ليل نهار فى ساحتي السياسة والاجتماع، فيوقظون العقول و ينهبون الأفكار[٢]. ومن ثم صاروا كتاباً لامعين كان باستطاعتهم أن يعبروا عن آرائهم في المسائل المختلفة بلغة سهلة غير متصنعة يفهمها الجميع دون عناء.

وبهذا حوّلَ جمال الدين وتلاميذه مجرى الأدب فجعلوه في خدمة الأمة يطالب بحقوقها و يحرض الناس على أن يتغنوا بحقهم فى الحرية وأخذ الأدب يتحدث عن الشعب، بدا ذلك فى مقالات محمد عبده و أديب اسحاق...[٣]

لم يكن جمال الدين مفطوراً على اللغة العربية مطبوعاً على اساليبها الفصيحة، لأنها ليست لغته الأم وإنما تعلمها تعلماً، ولكنه أفادها فائدة جليلة بإرشاد تلاميذه إلى التحرر من القيود الثقيلة كسجع متكلف ممقوت و استعارات غريبة وغير ذلك مما أفسد المعنى، كما أرشدهم الى تجنب المقدمات الطويلة؛ ومن الطبيعي إن يصرفهم الى الاهتمام بالمعاني. وبما أنه لم يكن من المطبوعين على أساليب العربية الجميلة، إلا انه كان ينتزع البلاغة انتزاعاً فترى لقلمه سطوة لاترى لكثير من الأقلام[٤].

علم جمال الدين أنه إذا أراد أن يوقظ عقول المصريين فعليه أن يخاطبهم بلغة سهلة واضحة خالية من الصنعة يفهمها الناس فهما واضحاً سريعاً. فبناءً على هذا كان قد دعا إلى تحرير الكتابة من التعقيد و التقليد وجعلها فى خدمة الفكر لا فى خدمة الأسلوب، كما دعا إلى تحرير الفكر الديني من الجمود و الى اطلاق العقل في تحرياته و احكامه[٥]. وبهذا هجر الناسُ السجع المتكلف و الزخارف اللفظية وكان لجمال الدين ومحمد عبده والبارودى أثر ضخم فى تطور الادب وتحريره من قيده القديم و تطلعه الى كلّ جديد، وإلى التعبير عن النفس الإنسانية في صدق و إخلاص وقوة[٦].

وهكذا نراهَ رأْيَ العينِ حيث لعب دوراً هاما فى النهضة الأدبية فى العالم العربى، اذ كانت النهضة نشأت على أساسين هامين هما الإصلاح السياسى والإصلاح الديني اللذين يدين حدوثهما فى العالم العربى للسيد جمال الدين الاسد آبادي. و من هنا حدث التطور الاساسي للادب العربي في نفس الزمن بفضل الكُتّاب الذين تربوا مباشرةً على يد هذا الرجل الكبير.

الوسط الادبي المتأثر ومدى تأثره بالسيد جمال الدين

رغبة في اِتّضَاحِ دور السيد جمال الدين في النهضة الأدبية، لا بد أن نتعرف على من تأثروا به و بفكره، ثم نعالج دورهم في التطور الأدبي للنهضة الأدبية الحديثة.

١- محمود سامي البارودي (١٨٣٨ – ١٩٠٤ م)

إنَّ مؤرخي الأدب العربي و نقاده لقبوه «رب السيف والقلم» إذ كان شاعراً قوياً، كما كان عسكرياً شجاعاً. كان في عهد ثورة عرابى باشا[٧] سنة ١٨٨١ م رئيساً للوزراء حيث دافع عن الثوار بكل ما كان بوسعه، ولما أخفقت الثورة قدم الى المحاكمة وحكم عليه بالنفي إلى «سرنديب» فظل بها سبعة عشر عاماً وبعض عام.

ان النقاد قد أجمعوا على أن البارودى هو رائد الشعر العربى المعاصر، أخذ ينهض بالشعر نهضة أحيت مكانته ويثب به وثبة ردت إليه صولته، فأرسله جزل العبارة وفخم الأسلوب وكان أعظم المظاهر في تطور الشعر على يدي البارودي هي التزوع به أساليب البلاغة العربية وترك الإفراط فى المبالغات وعدم الإكتراث بالمحسنات البديعية[٨]. وصرح بذلك الدكتور هيكل فى مقدمة ديوان سامي البارودي قائلا: «إن شعر البارودي كان في عصره جديداً كُلّه، كانت محاكاته للاقدمين جديدة، وكانت معارضته إياهم

---

١. المرجع السابق، ص ٣٣٦

٢. جُرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، الطبعة؟، دار مكتبة الحياة، ج ٤، ص ٦٤٢

٣. عبدالمنعم خفاجى، المصدر السابق، ص ٢٧

٤. عمر الدسوقى، المصدر السابق، ص ٣٤٩-٣٥٠

٥. حنا الفاخورى، المصدر السابق، ص ٨١

٦. عبدالمنعم خفاجى، المصدر السابق، ص ١٧

٧. كان أحمد عرابى باشا وزيراً للحرب فى وزارة سامى البارودى، فقام العسكريون فى وجه وزارة نوبارباشا المفروضة، كان وزير العمل فى وزارته فرنسياً و وزير المالية انجليزياً والبلاد خاضعة للأجانب، انهزمت الثورة بسبب التدخل العسكرى من قبل الانجليز فأعدم الثوار و حبسوا و شردوا. (عمر الدسوقى، المصدر السابق، ص ٢٢١ – ٢٢٤)

٨. عبدالمنعم خفاجي، المصدر السابق، ص ٧٤

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.6.1]

جديدة، فقد هوى الشعر العربي قبله إلى درك من الانحلال جعله بالنسبة إلينا شيئاً منسياً»[1] إنَّ البارودي أنقذ الشعر من عثرة الأساليب الركيكة والإبتذال في المعاني، وردّ اليه الحياة والروح، حياة نفسه وروح عصره وقومه في الفترة التي عاش فيها اذ جعله متنفساً حقيقياً لعواطفه ومشاعر امته وما ألم بها من أحداث وخطوب[2]. و لذلك كرمه الأدباء والنقاد تكريماً واسعاً وجعله الشعراء من أمثال أحمد شوقى وحافظ ابراهيم ... قدوة لأنفسهم.

وكما ذُكر آنفا، كان البارودي تلميذاً للسيد جمال الدين وتأثر بشخصيته وبافكاره تأثراً شديداً، أكد ذلك الدكتور عمر الدسوقى حيث قال: «لا نستطيع ونحن نتكلم عن الحياة العقلية في عصر البارودي أن نغفل شخصية علمية كان لها أكبر الاثر في حياة شاعرنا (البارودي)، ألا وهي شخصية السيد جمال الدين الأفغاني»[3] هذا، وقد انعكس صدى آراء جمال الدين فى شعر البارودي السياسي، والشعر السياسي الوطني من أهم الاغراض الشعرية التي أبدع فيها البارودى حيث دفعه الى مركز الصدارة بين أبناء شعبه وجعل منه زعيماً محبوباً و هو ذلك الشعر الذي القى به في غيابة السجن و رمى به بعيداً عن وطنه. إنَّه قد تأثر بجمال الدين في شعره السياسي تأثراً واضحاً، فنراه يدعو إلى الإصلاح السياسي والأخذ بنظام الشورى الذى كان أساساً للدعوة الاصلاحية للسيد جمال الدين و الذى كان يحرض الحكام على قبولها:

سنّ المشورة و هي اكرم خطة
يجرى عليها كلُّ راعٍ مُرشدِ

هى عصمةُ الدينِ التي أوحى بها
رب العباد الـــــى النبي محمد

مَنْ اسْتَعَانَ بها تأيد ملكه
و من استهان بأمرها لم يرشد

أمرانِ مَا اجتمعا لقائدِ أُمةٍ
إلا جَنَى بِهِمَا ثمارَ السُؤدَدِ

جمعٌ يكونُ الامُر فيما بينهُمْ
شورى، و جُنْد للعَدوِ بمرصدِ

هيهاتَ يحيى الملك دونَ مشورةٍ
و يعزُّ ركن المجدِ مَا لم يَعْمَدِ

وفى الابيات التالية نراه يشير إلى العدالة والشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كخصائص ممتازة في زمن رئاسته فيرى أنها أمر مفروض من الله تبارك وتعالى:

ولكنني ناديتُ بالعدلِ طالباً
رضى الله واستنهضْتُ أهلَ الحقائقِ

أمرتُ بالمعروفِ وأنكرت مُنكراً
وذلك حكم في رقابِ الخلائقِ

وهل دعوةُ الشورى عليَّ غضاضة
وفيها لمنْ يبغي الهدى كُلّ فارقِ

بلى إنها فرضٌ من اللهِ واجبٌ
على كُلِّ حيّ من مسوقٍ وسائقِ

كيف يكونُ المرءُ حراً مهذباً
و يرضى بما يأتي كلَّ فاسقِ

٢ - الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ – ١٩٠٥)

الشيخ محمد عبده كان أكثر تلاميذ السيد جمال الدين اشتهاراً و أشدهم تأثراً به. كان له دورٌ هامٌ في الإصلاح الديني وتنقيته مما ألم به من خرافات و لم يلبث أن مزج بهذه الدعوة دعوة عامة إلى إنقاذ

١. عمر الدسوقي، سامي البارودي، ص ٥١.

٢. شوقي ضيف، الادب العربي المعاصر في مصر، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦١، ص ٤٤

٣. عمر الدسوقي، محمود سامي البارودي، ص ٨٨

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.6.1]

الإسلام والمسلمين مما حلَّ بهم من تأخر واضمحلال و فكر في وطنه و ما أصابه من جور حكامه و سوء أحواله الاجتماعية. و هذا بدوره كان من أهم عوامل التطور الأدبي في النهضة الحديثة.

ومما لاشك فيه أن جمال الدين هو الذى دفع الشيخ محمد عبده دفعاً قوياً في هذا الاتجاه إذكان يلزمه فى بيته و فى غداوته و روحاته وهو يلقي دروسه الدينية والفلسفية داعياً إلى الإصلاح السياسي والديني والاجتماعي. وقد أخذ يمرن تلاميذه وعلى رأسهم محمد عبده على الخطابة وإنشاء المقالات في الصحف وتحولت إلى التلميذ جميع تعاليم أستاذه وتأججت في صدره حماسة لاهبة لخدمة دينه ووطنه. اشترك في الثورة العرابية حتى إذا أخفقت حُكم عليه بالنفي، فذهب إلى بيروت ثم تركها إلى باريس ليلتحق بجمال الدين و أصدرا هُناك صحيفة «العروة الوثقى»، يذيعان فيها على مصر والعالم الإسلامى ما يوقد نار الحمية الإسلامية في النفوس[١].

كان للشيخ محمد عبده دور هام فى تطورالنهضة الأدبية المعاصرة حيث اعتبر من أركان مدرسة الاعتدال فى النثر الذي جمع بين القديم والحديث وكان خطوة مركزة فى أسلوب صحيح و تفكير قويم[٢]. ذكر بعض النقاد «أنه خير مَن صور تطور النثر العربي في القرن التاسع عشر. أسلوب محمد عبده فى النثر أسلوب طبيعي يعتمد على جزالة اللفظ كما كان يعتمد أسلوب البارودي في الشعر على رصانة الكلمات و كأنّ ما حدث في الشعر حدث نظيره فىالنثر، فقد عادت اللغة إلى حريتها وطلاقتها و لم تعد ترزح تحت معو قات السجع والبديع.»[٣]

وَمِنَ الواجب أن نذكر هنا المنفلوطي حيثُ كان من أبرر تلاميذ محمد عبده. فقد عُني بأسلوبه وأدى معانيه فيه أداء بديعاً و لم يحاول فى ذلك أسلوب السجع الذى أهمل و إنما حاوله في الأسلوب المرسل الجديد، ولكنه عني عناية بارعة بهذا الأسلوب وكان الشباب من الكتاب في أول القرن العشرين مُعجبين بهذا الأسلوب إعجاباً شديداً. وظلَّ ذلك الإعجاب يرافق الأدب العربي طويلاً وبذلك صار رائداً للنثر الحديث[٤].

١. شوقي ضيف، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

٢. حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص ٢٣.

٣. شوقي ضيف، المصدر السابق، ص ٢٢٦.

٤. هاميلتو جب، دراسات في الأدب العربي الحديث، دمشق، المركز العربي للكتاب، ص ٥٢

كان المنفلوطى قد التقى بالشيخ محمد عبده وتتلمذ عليه وأخذ عنه روح الانفتاح وانطلق إلى جانبه في عالم الأدب والاجتماع والحمكة. وقد ساد أسلوبُ المنفلوطي وآثارُه في الأجيال المختلفة حيث اقتحم دور التعليم فى معظم البلدان العربية، ولعل هذا ما حدا عباس محمود العقاد على إطلاق تسمية «عهد منفلوطى» على فترةمن تاريخ مصر الأدبي[٥].

٣- أديب إسحاق (١٨٥٦-١٨٨٥)

ولد أديب إسحاق فى دمشق ونشأ فى بيروت وعمل في مصر وفرنسا. كان من أسبق أدباء النهضة وألمعهم، التقى بجمال الدين وتأثر به وبغيرته على الشرق، إذ هما على خط واحد فى الميدان الاجتماعي. فكتب مقالات سياسية كثيرة فى محاربة الملكية المطلقة والسيطرة الأجنبة والتعصب والتأخر. فاز أديب إسحاق بسلامة لغة وصحة بيان ارتفعتا بالإنشاء العربي في نطاق العصر الحديث إلى مستوى عصور البلاغة الأولى، وهو كثير الاستعانة بالسجع إلا أنه لا يصير فيه إلى التكلف، وبذلك خدم الصحافة العربيةالسياسية والأدبية ورفع مستوى الإنشاء الصحفي بما تولى من جرائد ومجلات[٦]. وقد قال إسحاق عن أسلوبه الذي تأثر فيه بتعاليم جمال الدين وأسلوبه الملتهب: «رأيت أن أصرف العناية والاجتهاد إلى تهذيب العبارة، وتقريب الإشارة لتقرير المعنى في الأفهام، من أقرب وأعذب وجوه الكلام وانتقاء اللفظ الرشيق للمعنى الرقيق، متجنباً من الكلام ما كان غريباً وحشياً أو مبتذلاً سوقياً، فإن التهافت إلى الغريب عجز وفساد التركيب بالخروج عن دائرة الإنشاء داءٌ إذا سرى فى القراء والمطالعين أدَّى إلى فساد عام وأغلق على الطلبة معاني كتاب العلم. والتنازل إلى ألفاظ العامة يقضي بإماتة اللغة وإضاعة محاسنها، وإن فى لغة القوم لدليلاً على حالهم.»[٧]

٤- محمد المويلحى (١٨٥٨-١٩٣٠)

ليس فى العالم العربي من لم يعرف كتاب «حديث عيسى بن هشام» للمويلحي فقد تتلمذ على والده في الأدب و اتصل بأئمة

٥. حنا الفاخوري، المصدر السابق، ص ٢٠٣

٦. رئيف خوري، نصوص التعريف في الأدب العربي، عصر الإحياء والنهضة، الطبعة الأولي، بيروت، لجنة التأليف المدرسى، ١٩٧٥، ص ١٨٥.

٧. عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ص ١٣٠

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.6.1]

العلماء و الأدباء من امثال السيد جمال الدين الأسد آبادي و محمد عبده و حسين المرصفي و سامي البارودي فحذق العربية و برع فيها[١].

كان المويلحى محبا اللأدب العربي خاصة التراث العربي المجيد، فيدعود إلى الحذر من التورط فى الانسلاخ من ماضى الأدب العربى و الارتماء فى لجج الحياة الغربية[٢]. لأجل هذا نشر كتابه القَصَصي «حديث عيسى بن هشام» مسلسلاً في جريدة مصباح الشرق منذ عام ١٩٠٠ متأثراً بالموروث القصصي القديم خاصة المقامات. يعتبر هذا الكتاب أفضل أثر قصصي في بداية القرن العشرين[٣]. وقد أهدى المويلحي كتابه هذا الى كلّ من يقرؤه من أديب يجد فيه طرفاً من الأدب وحكيم يرى فيه لمحة من الحكمة، وإلى ارواح جمال الدين ومحمد عبده والشنقيطي والبارودي ويردف ذلك بأنهم هم الذين تأدب بأدبهم وأخذ عنهم، و صدر الكتاب برسالة من الأفغانى {الأسد آبادى} إليه بمناسبة ظهور الطبعة الأولى من الكتاب[٤].

كان المويلحى من تلامذة جمال الدين وكان يشارك حلقات درسه و قد ساهم فى الثورة العرابية كسائر تلامذته و بعد اخفاق الثورة ترك القاهرة نحو باريس ملبياً دعوة أستاذه للمشاركة فى نشر مجلة «العروة الوثقى»[٥].

والمسلم به أن هناك جمعاً غفيراً من الادباء و الكتاب الذين تأثروا بجمال الدين وافكاره ولاتسعنا الفرصة لكي نعالج حياتهم الأدبية و السياسية ومدى تأثرهم بأستاذهم العبقري، السيد جمال الدين، من امثال الأمير شكيب أرسلان الملقب بامير البيان وابراهيم اللقانى و عبدالله باشا وآخرون... .

النتيجة

تبين مماّمَّر، أن التغيير الجذري والتطور الواسع قد حدث في الأدب العربي المعاصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر حيث تزامن مع دخول السيد جمال الدين مصر واستقراره في القاهرة، وكان جمال الدين قد استطاع بفضل نشاطاته الفكرية و السياسية و الاجتماعية، أن يكوّنَ جماعةً فذّة من الأدباء والمثقفين بدورهم مهدوا السُبُلَ المناسبة للنهضة الأدبية المعاصرة. واستناداً على هذا لعب جمال الدين دوراً هاماً في إعطاء دفعة قوية للنهضة الأدبية الحديثة وذلك بالطرق التالية:

أ- تهيئة السُبل الناجعة للنهضة الأدبية، حيث جَعَلَ الإصلاحَ الدينيَ والصحوةَ الإسلاميةَ والوعيَ القوميَّ منطق النضال الوطني.

ب- نشر المقالات السياسيّة في وسائل الاعلام المتيسرة في ذلك الزمن بلغة سهلة تقل فيها الصنعة والدعوة إلى تحرير الكتابة من التعقيد والتقليد وصيَّرها فى خدمة الفكر لا في خدمة الأسلوب. وبذلك فتح الباب علىمصراعيه أمام الكتاب والادباء للتطوير الكتابة الأدبية.

ج- ان محمود سامي البارودي كرائدٍ للشعر العربي المعاصر والشيخ محمد عبده رائد للنثر المعتدل كانا من تلامذة السيد جمال الدين و تأثرا بأفكاره. ولا يخفى على أحد الأثر الذي تركه محمد عبده على المنفلوطي الذي يعد رائد النثر العربي الحديث.

المصادر والمراجع

١- خفاجى، محمد عبدالمنعم؛ دراسة في الأدب الحديث و مدارسه، الطبعة الأولى، بيروت، دارالجيل، ١٩٩٢ م.

٢- خورى، رئيف؛ نصوص التعريف في الأدب العربي، عصر الاحياء و النهضة، الطبعة الأولى، بيروت، لجنة التأليف المدرسي، ١٩٧٥ م.

٣- الدسوقي، عمر؛ فى الأدب الحديث، الطبعة الثامنة، القاهرة، دار الفكر، ١٩٧٣ م.

٤- الدسوقي، عمر؛ محمود سامي البارودي، الطبعةالثالثة، القاهره، دار المعارف بمصر.

٥- زيدان، جرجي؛ تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، دار مكتبة احياء التراث، ١٩٦٧ م.

٦- عبدالسلام الشاذلي؛ شخصية المثقف فى الرواية العربية الحديثة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٥ م.

٧- ضيف، شوقي؛ الأدب العربي المعاصر فى مصر؛ الطبعة الثالثة، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٦١ م.

١. عبدالمنعم خفاجي، دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، ج ٢، ص ٣٤٤

٢. يحيي ابراهيم عبد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب الحديث، الطبعة الأولى، بيروت، دارا احياء التراث، ١٩٧٤، ص ٦٩

٣. عبد السلام الشاذلي، شخصيةالمثقف في الرواية العربية الحديثة، الطبعة الأولى، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٥، ص ٧٤-٧٥.

٤. عبد المنعم خفاجي، المصدر السابق، ص ٣٤٣.

٥. شوقي ضيف، المصدر السابق، ص ٢٣٥

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.6.1]

٨- عبد الدايم، يحيى ابراهيم؛ الترجمة الذاتية فی الأدب العربي الحديث، الطبعة الأولى، بيروت دار احياء التراث، ١٩٧٤ م.
٩- غنيمی هلال، محمد؛ الأدب المقارن؛ الطبعة الثالثة، بيروت، دار العودة، ١٩٦٢ م.
١٠- الفاخوري، حنا؛ الجامع في تاريخ الأدب العربي (العصر الحديث)، الطبعة الأولى، بيروت، دارالجيل، ١٩٨٦ م.
١١- جب، هاميلتون؛ دارسات في الادب العربي الحديث، دمشق، المركز العربي للكتاب.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-05-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1425.11.2.6.1]